لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفس الامر فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى
امره بالاستغفار لذنب قد سبق قبل النبوة او ان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم
اعلى الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه
التاويل او السهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيات
المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني ولا
تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من اقدم
على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد
كل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يعني خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودي
وهو بري وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لان الله تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على
ذلك انه لما نزل فيه القران لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط
فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع بمحمول حتى اجن عليه الليل عدا عليهم
ثم انطلقوا فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حالته كان كثير الخيانة والاثم فكذلك
وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات ويروى
عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المومنين قال كذبت
ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون ويستحيون من الناس ويريد بذلك بني ظفر بن
الحارث وهم قوم طعمة بن ابيرق ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفا الاستتار
وانما فسر الاستخفا بالاستحيا على المعنى لان الاستحيا من الناس يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم
بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شي من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يغيرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك
ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع
قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما يعملون
محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية ها انتم هولا ها للتنبيه
يعني يا هولا الذين هو خطاب لقوم من المومنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم
كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه
والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم
عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة يعني اذا اخذه بعذابه فهو استفهام
بمعنى التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم وكيلا يعني محافظا ومحاميا عنهم من باس الله اذا نزل به قوله تعالى ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل
هي عامة في كل مسي ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الاية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما
فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او
يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه
البري وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما
ففي هذه الاية دليل على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوءا

او

او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة
لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ومن يكسب اثما يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه
يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكانه تعالى يقول يا ايها الانسان
ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضر والنفع فاكثر الاستغفار ولا تياس من قبول
التوبة فاني الغفار لمن تاب وهذه الاية نزلت في طعمة وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني اذ حكم عليه
بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له
ويقبل توبته ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب
المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ثم يرم به
بريا يعني ثم يقذف بما جناه بريا منه وهو نسبته السرقة الى اليهودي ولم يسرق **فان قلت**
الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به **قلت** معناه ثم يرم باحد هذين
المذكورين بريا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور
وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريا فقد احتمل بهتانا البهتان من البهت وهو الكذب الذي
يتحير في عظمه واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم اثم وبرميه البري باهت فقد جمع بين الامرين قوله
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني
بالعصمة وما اوحي اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة منهم يعني من
بني ظفر وهم قوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضا بالحق وتوخي طريق العدل وقيل يخطيوك في الحكم ويلبسوا عليك
الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه ويبرئه من السرقة
ويرمي بها اليهودي وما يضلون الا انفسهم يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم انه بري فهم
لما اقدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك من شي يعني وانهم وان سعوا في التلبيس في الباطل فانت ما وقعت فيه
لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شي في المستقبل
فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره احد وانزل الله عليك الكتاب يعني القران والحكمة يعني القضا به يعني ما وجب بهما بنا
الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالتلبيس في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من علم احكام الشرع وامور الدين وقيل
علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك احوال المنافقين
وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما يعني ولم يزل فضل الله عليك عظيما يا محمد فاشكر على ما اولاك من احسانه
ومن عليك من نبوته وعلمك ما انزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله
وشملك باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
على ما حباه من الطافه وما شمله من فضله واحسانه لتقوم بواجب حقه قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم يعني
من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هو السر في التدبير وقيل النجوى ما تفرد
بتدبيره قوم سرا كان ذلك او جهرا او ناجيته ساررته واصله ان تخلو في نجوة من الارض وقيل اصله من النجاء والمعنى
لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه الا من امر بصدقة يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما
يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير فقيل هو استثنا منقطع تقديره لكن
من امر بصدقة وحث عليها او معروف يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)